تربويات

الأزهر كان زماااان..!

إعداد

أ.د/ خالد محمود محمد عرفان

أستاذ المناهج وطرق التدريس

وعميد كلية التربية (بنين) بالقاهرة – جامعة الأزهر

تربويات

الأزهر كان زماااان..!

يطل علينا من الجحور بين الحين والآخر شخصيات غريبة فكريا ونفسيا وتربويا ، تريد أن يصبح لها شأن ومكانة وسمعة بين الناس، ويظنون أن ذلك لن يتحقق إلا إذا هاجموا الكبار وناطحوا السحاب وقارعوا قمم الجبال؛ كي يردد الناس أسماءهم المجهولة، وينالوا الشهرة التي يبحثون عنها، بينما الفريق على الجانب الآخر يهبون مدافعين عن أنفسهم تارة ومهاجمين تارة ومبررين تارة أخرى.. وهذا هو ما يريده هؤلاء بالضبط، فهم مدفوعون لذلك من أنفسهم الضعيفة و من جهات مختلفة لها مآرب أخرى.

ويردد هؤلاء في هجومهم الكثير من العبارات التي تكرر بين الحين والآخر منها (الأزهر يرعى الإرهاب، الأزهر مخترق من الإخوان، الأزهر مؤسسة فاشلة إداريا، الأزهر يعمل ضد الدولة، الأزهر فاشل في التعليم، الأزهر يغرد خارج السرب، الأزهر متخلف، يجب القضاء على ازدواجية التعليم في مصر، الأزهر رجعي، يجب إلغاء الأزهر، الأزهر وحتمية التجديد، والأزهر كان زماااااان.. وغيرها).

وتعد مقولة الأزهر كان زماااان من أكثرها استفزازا لي شخصيا؛ لأن من الطبيعي ألا يكون أزهر اليوم كأزهر زمان في كل شيء حتى في هيئة علمائه وطلابه ومبانيه وجدرانه ومقرراته ومحتوياتها، وقضاياه وطموحاته حتى في أهدافه وغاياته؛ وهذا أمر بدهي فالمؤسسات بصفة عامة والتربوية والتعليمية بصفة خاصة لابد أن تتغير فالتغير سمة من سمات المخلوقات ومن منا لا يتغير ، فالمؤسسة تولد وتنمو وتزدهر وتشيخ وقد تموت ما لم يكن لديها القدرة على تجديد شبابها؛ وإذا جددت حتما تغيرت، ومن هنا ولد الأزهر فشب وشاخ وجاءت حركات التجديد والتطوير على يد العديد من مشايخة كالشيخ عبد الحليم محمود حتى فضيلة الإمام الطيب- حفظه الله- الذي يقوم بجهود كبيرة ، ويقود فريقا متميزا من المتخصصين في تطوير الأزهر الشريف؛ كي يعيد للأزهر شبابه وحيويته .

إن أي مؤسسة كي تقوم بأداء مهامها لابد أن تدعم من قبل الحكومات والشعوب فهم الذين يدعمون المؤسسة ماديا ونفسيا وتشريعيا، فهم الرعاة الرسميون للمؤسسة، وكلما كان الدعم قويا كلما شبت المؤسسة وقويت فتصبح قلعة من قلاع الوطن ، وأبناؤها جنود يدافعون عنه ويذودون عن حماه في مجالهم ، وإذا غاب الدعم واهملت التشريعات وقطعت التعزيزات تترنح المؤسسات وتتخبط؛ بل وتهاجم من كل من هب ودب ، وتصبح كريشة في مهب الريح، ولم لا فقد أصبحت بلا درع حكومي وشعبي يذود عنها ويحميها ضد هجمات الأفاقين المغرضين.

وقد أدركت القيادة السياسية في مصر دور الأزهر من أول لحظة فجعلته شريكا مع غيره من المؤسسات في نهضة البلاد، وقوة ناعمة قادرة على تحقيق نجاحات سياسية واقتصادية كبيرة خارج مصر من خلال آلاف الخريجين الذين يفدون للدراسة بين أروقته ويعودون إلى بلادهم فيصبحون قادة ورجال دين وسياسة، ومنهم من يتقلد رئاسة الدول، وقلبه مليء بالحب والامتنان لمصر الأزهر، وعقله ثري بالفكر الديني الوسطي النابع من القرآن والسنة، متسلحا بمهارات علمية وفكرية وتقنية عصرية اكتسبها من الدراسة فيه، فيكون حريصا على تقوية العلاقات بينه وبين

مصر حكومة وشعبا، والتعاون معها في جميع المجالات، إن ما يحققه الأزهر في نشاط دولي واحد يمكن أن يخدم مصر وشعبها عشرات السنين، والتاريخ ثري بالشواهد والأدلة على ما أقول.

فيا لعمامة شيخ، وكلمة خطيب، ورسالة فقيه من أثر في نفوس الآخرين!

إن الحفاظ على مؤسسة الأزهر مؤسسة وطنية داعمة للبلاد في الداخل والخارج أمر حيوي ومطلب وطني لا ينفك عن الأزهر منذ مئات السنين، ولن أجتر ما كتب مرارا عن دور الأزهر الوطني وتدعيم الوحدة الوطنية على مر التاريخ.

وأقول فيه:

عشت يا أزهر للأوطان ذخرا .. وبقيت أبدا بالأنوار ساري

ونشرت دوما في الأرجاء علما .. وحماك ربي للإسلام حامي

والقلب مني للمحراب يهفو .. والنفس تاقت للقاء المعالي

امض يا أزهر وضاء المحيا .. إلى الآفاق تحدوك الأماني

إن الأزهر مؤسسة كبقية المؤسسات الوطنية ليست فوق النقد ولكنها فوق التجريح، وهناك فرق كبير بينهما، فالنقد البناء يبني ولا يهدم، ينصح ولا يجرح، علمي لا عشوائي، يعتمد في تقديمه على أدلة وشواهد وليست على ترهات وخزعبلات؛ فعلى من يريد أن يطور الأزهر – كما يدعي- أن يقدم تصوراته ورؤاه مع مراعاة طبيعة الأزهر وثوابته ورسالته الدينية والعلمية والوطنية، فكل تطوير لا يحافظ على ثوابت المؤسسات ويقوم به غير المتخصصين أمر يجانبه الكثر من الصواب إذ لم يكن الصواب كله.

إن الجيش والشرطة يبذلان جهدا كبيرا ويقدمان كل يوم الشهداء دفاعا عن الوطن ضد التشدد والإرهاب، وهما في حاجة إلى شن حرب فكرية موازية على هؤلاء المارقين من خلال المؤسسات المتخصصة وعلى رأسها الأزهر الشريف، فحماية العقول من الأفكار الظلامية ومحاربة الإرهاب خطوة استباقية وقائية ؛ فالوقاية خير من العلاج، وعلاجية أيضا مع من وقع في المحظور، ودوره مهم للغاية في نشر الأفكار الصحيحة وتصويب الأفكار الخاطئة في المجتمع خاصة لدى الشباب، فالأفكار هي أول الأسوار.

إن القلم الوطني الشريف حقا هو ذلك القلم الذي يوجه للنهوض بالمؤسسات الوطنية ودعمها وتقديم النصح لها ، بدلا من مهاجمتها وتشتيت جهودها؛ كي تتفرغ للعمل معا داخل منظومة وطنية رائعة ، متناغمة الأداء وموحدة الوجهة واضحة الأهداف من أجل مصرنا الغالية.

فأرجوكم لا تقولوا "الأزهر كان زماااااان"

د/ خالد عرفان

عميد كلية التربية (بنين) بالقاهرة